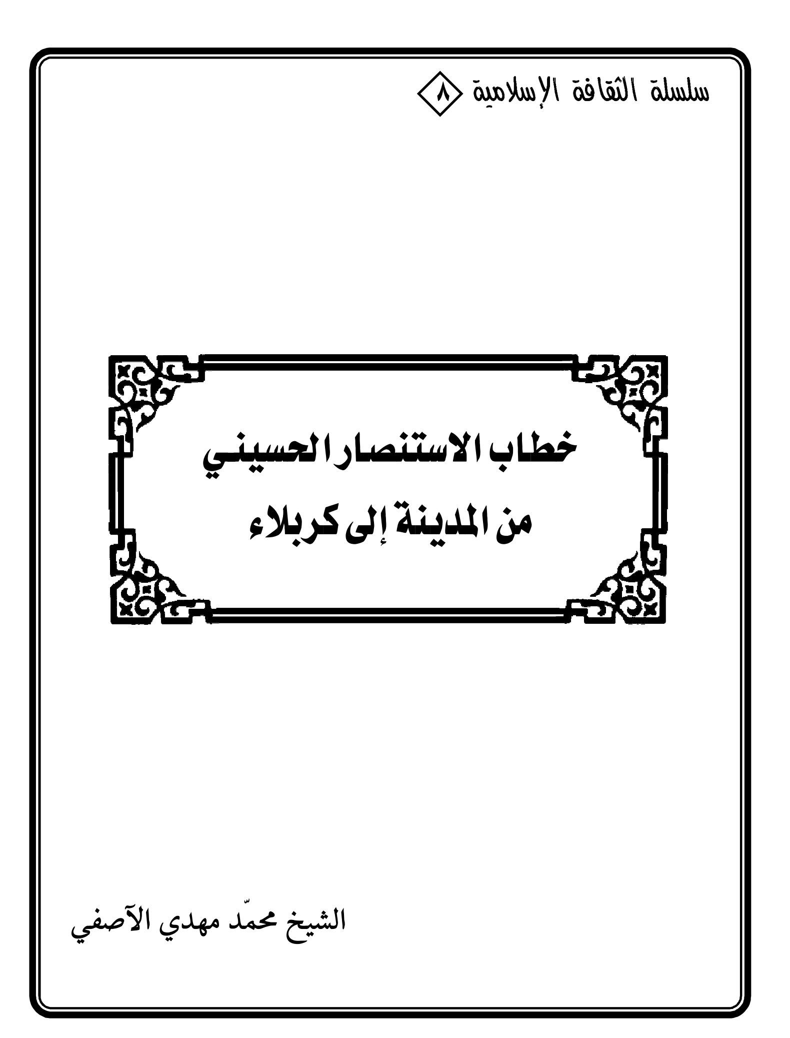


مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات

الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

❊ ❊ ❊

بحث مستل من كتاب

(في رحاب عاشوراء) الجزء (٢)

اسم الكتاب: .... خطاب الاستنصار الحسيني من المدينة إلى كربلاء

المؤلف:... محمّد مهدي الآصفي

تاريخ الطبع: .... ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

الكمية: ....٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عيسَى منْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَاري إلَى اللّه قَالَ الْحَوَاريُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّه آمَنَّا باللّه وَاشْهَدْ بأَنَّا مُسْلمُونَ﴾

آل عمران: ٥٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّه كَمَا قَالَ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ للْحَوَاريِّينَ مَنْ أَنصَاري إلَى اللَّه قَالَ الْحَوَاريُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّه فَآمَنَت طَّائفَةٌ مِّن بَني إسْرَائيلَ وَكَفَرَت طَّائفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهرينَ﴾

الصف: ١٤

خطاب الاستنصار الحسيني

الاستعراض، والدلالات

الاستنصار الحسيني

يقول الشيخ جعفر التستري ﵀ في الخصائص الحسينية: إن الحسين ﵇ (استنصر) الناس سبع مرات و(استغاث) سبعاً.

ثم يقول ﵀: (إن التلبيات السبعة الواردة في زيارة الحسين ﵇ (لبيك داعي الله) إجابة وإشارة إلى هذه الاستنصارات والاستغاثات)[1].

وفيما يلي نستعرض طائفة من استنصارات الحسين ﵇ واستغاثته بالمسلمين منذ خروجه من المدينة إلى اليوم العاشر من المحرم سنة ٦١هـ في كربلاء.

ثمّ نقوم بدراسة دلالات الاستنصار الحسيني.

١ ـ الخصائص الحسينية: ١٧٧ـ ١٧٨.

أ ـ الاستعراض

نماذج من الاستنصار الحسيني

في المدينة

١ـ خرج الحسين عليه السلام من المدينة متوجهاً نحو مكة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب، ومعه بنوه وإخوته وبنو أخيه الحسن عليه السلام وأهل بيته، وكتب قبل أن يخرج من المدينة، وصيّته التي يستنصر فيها المسلمين، وأودعها عند أخيه محمد بن الحنفية.

قال فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أوصى به الحسين بن علي إلى أخيه محمد بن الحنفية: إن الحسين يشهد أن لا اله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده، وأن الجنة حق، والنار حقّ والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور... وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب.

فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد علَيّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم، وهو خير الحاكمين».

ثم طوى الكتاب وختمه، ودفعه إلى أخيه محمد[١].

٢ـ واستنصر الحسين عبدالله بن عمر بن الخطاب.

وقال لعبد الله بن عمر لما طلب منه البقاء في المدينة: «**يا عبدالله إن من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا يُهدى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل وإن رأسي يُهدى إلى بغي من بني أمية**»[٢].

ولما عرف ابن عمر من الحسين العزم على مغادرة المدينة قال له: يا أبا عبد الله اكشف لي عن الموضع الذي لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يقبله منك، فكشف له عن سرته فقبلها ثلاثاً وبكى[٣].

فقال له: «**إتق الله يا أبا عبد الرحمن، ولا تدعنّ نصرتي**»[٤].

في مكة

٣ـ وكتب الحسين نسخة واحدة (تعميماً) إلى رؤساء الأخماس

---

١ ـ مقتل العوالم: ٥٤.

٢ ـ مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم: ١٣٩.

٣ ـ أمالي الصدوق: ٩٣، المجلس ٣٠.

٤ ـ اللهوف: ١٧.

بالبصرة، وهم مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن القيس، والجارود بن المنذر، ومسعود بن عمرو، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد بن معمر، وأرسله مع مولى له يُقال له سليمان[1] وفيه: «**أما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به وكُنا أهله وأولياؤه وأوصياؤه وورثته، وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم إنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاّه، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه، فإن السنّة قد أميتت والبدعة قد أحييت، فان تسمعوا قولي أهدكم إلى سبيل الرشاد**».

فسلّم الجارود بن المنذر العبدي رسول الحسين إلى زياد فصلبه عشية الليلة التي خرج في صبيحتها إلى الكوفة ليسبق الحسين إليها[2]، وكانت ابنة الجارود بخرية زوجة ابن زياد فزعم أن يكون الرسول دسيساً من ابن زياد، وأما الأحنف فإنه كتب إلى

١ ـ هذا في تاريخ الطبري ٦: ٢٠٠، وفي اللهوف: ٢١ (يُكنّى أبا رزين). وفي مثير الأحزان:١٢ (أرسله مع ذراع السوسي).

٢ ـ تاريخ الطبري ٦: ٢٠٠.

الحسين عليه السلام: «**أما بعد: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾**»[1].

وأما يزيد بن مسعود[2] فإنه جمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد فلما حضروا قال: يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟ قالوا: بخ بخ! أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً وتقدمت فيه فرطاً قال: فإني قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه فقالوا: إنا والله نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأي، فقل حتى نسمع.

فقال: إن معاوية مات. فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنه قد انكسر باب الجور والإثم وتضعضعت أركان الظلم. وكان قد أحدث بيعة عقد بها أمراً ظن أنه قد أحكمه، وهيهات الذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخُذل، وقد قام يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدّعي الخلافة على المسلمين، ويتآمر عليهم بغير رضاً منهم، مع قصر حلم، وقلّة علم، لا يعرف من الحق موطأ قدميه، فأقسم بالله قسماً مبروراً لَجهادُهُ على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي وابن رسول الله ﷺ، ذو الشرف

١ ـ مثير الأحزان: ١٣.

٢ ـ هذا في مثير الأحزان، وعند الطبري وابن الأثير مسعود بن عمرو.

الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير، ويحسن إلى الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشو عن نور الحق، ولا تكسعوا في وهد الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ﷺ ونصرته، والله لا يقصّر أحدكم عن نصرته إلاّ أورثه الله تعالى الذل في ولده، والقلة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت لها بدرعها، من لم يُقتل يمُت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله رد الجواب.

فقالت بنو حنظلة: يا أبا خالد نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلاّ خضناها، ولا تلقى والله شدة إلاّ لقيناها، ننصرك بأسيافنا ونقيك بأبداننا إذا شئت.

وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إن غضبت، ولا نبقى إن ظعنت، والأمر إليك فادعنا إذا شئت.

وقالت بنو اسعد بن زيد: أبا خالد إن أبغض الأشياء إلينا خلافك

والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال يوم الجمل، فحمدنا ما أمرنا، وبقي عزنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ونأتيك برأينا.

فقال لهم: لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولازال سيفكم فيكم.

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام: أما بعد فقد وصل إليّ كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني له من الأخذ بحظي من طاعتك، والفوز بنصيبي من نصرتك، وإن الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير، ودليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وانتم فرعها، فاقدم سعدت بأسعد طائر فقد ذللت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الإبل الظمأ لورود الماء يوم خمسها، وقد ذللت لك رقاب بني سعد، وغسلت درن قلوبها بماء سحاب مزن حين استهل برقها فلمع.

فلما قرأ الحسين عليه السلام كتابه قال: «**آمنك الله من الخوف، وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر**».

ولما تجهز ابن مسعود إلى المسير بلغه قتل الحسين عليه السلام فاشتد

جزعه وكثر أسفه لفوات الأمنية من السعادة بالشهادة[1].

وكانت (مارية) ابنة سعد أو مُنقذ من الشيعة المخلصين، ودارها مألفاً لهم يتحدّثون فيه فضل أهل البيت عليهم السلام، فقال يزيد بن نبيط وهو من عبد القيس لأولاده وهم عشرة:أيكم يخرج معي، فانتدب منهم اثنين عبد الله وعبيد الله، وقال له أصحابه في بيت تلك المرأة: نخاف عليك أصحاب ابن زياد، قال: والله لو قد استوت أخفافها بالجدد لهان عليّ طلب مَن طلبني[2] وصحبه مولاه عامر.

وسيف بن مالك والأدهم بن أمية[3] فوافوا الحسين بمكة وضموا رحلهم إلى رحله حتى وردوا كربلاء وقتلوا معه.

٤ـ وخطب الحسين عليه السلام في المسلمين عشية خروجه من مكة، وقال:

«خطّ الموت على ولد ادم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف وخُيّر لي مصرع أنا لاقيه.

كأني بأوصالي تقطّعها عُسلان الفلواة بين النواويس

١ ـ مُثير الأحزان: ١٣، واللهوف: ٢١.

٢ ـ تاريخ الطبري ٦: ١٩٨.

٣ ـ ذخيرة الدارين: ٢٢٤.

وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً، وأجربة سبغاً، لا محيص من يوم خطّ بالقلم.

رضا الله رضانا أهل البيت. نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين.

لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله»[1].

وفي هذه الخطبة، ينعى الإمام نفسه، ويستنصر المسلمين، ويطلب منهم مهجهم، ويطلب ممن يريد أن يخرج معه أن يوطّن نفسه للقاء الله، ويعلن للمسلمين أنه يخرج غداً إلى العراق، ومن أراد أن يلتحق به فليعدّ نفسه للخروج منذ الليلة.

وهي دعوة غريبة من نوعها في تاريخ الثائرين والخارجين. فلا يُمنيهم الحسين عليه السلام بملك ولا سلطان، وإنما يدعوهم إلى القتل.

وهذه الدعوة بهذه الخصوصية مما تتميز بها ثورة الحسين عليه السلام في التاريخ عن غيرها من الثورات والحركات.

إن الحسين عليه السلام يطلب من الناس مهجهم، ويطلب منهم أن

١ ـ اللهوف: ٣٣، وابن نما: ٢٠، والمقرم: ١٧٣.

ينتزعوا أنفسهم من الدنيا ويوطّنوا أنفسهم للقاء الله.

والحسين عليه السلام يقصد ما يقول.

ولو خرج يومئذ مع الحسين عليه السلام ناس يريدون الدنيا، وليس وجه الله، ويطلبون المال والسلطان في خروجهم مع الحسين عليه السلام لأخلّوا بهذه الحركة، وأفقدوها قيمتها وتأثيرها العميق الخالد في التاريخ.

وبهذه الطريقة يعلن الحسين عليه السلام من بدء خروجه عن رفضه لأولئك الذين يريدون أن يلتحقوا به للمال والسلطان والدنيا.

هذه الخطبة عجيبة في لهجتها، عجيبة في مضامينها ودعوتها، وتتضمن الاستنصار، والاستماتة، والترغيب والتزهيد، والدعوة، والرفض.

٥. في الحاجر:

ولما بلغ الحاجر[1] من بطن الرمة، كتب إلى أهل الكوفة جواب كتاب مسلم بن عقيل، وبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي[2] وفيه:

١ ـ في معجم البلدان: الحاجر ما يمسك الماء من شفة الوادي وفيه، ج: ٤ ص: ٢٩٠، بطن الرمة منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة، وفيه تجتمع أهل الكوفة والبصرة، وفي تاج العروس٣: ١٣٦: الحاجر مكان بطريق مكة.

٢ ـ في روضة الواعظين لعلي بن محمد الفتّال النيسابوري ص: ١٥٢ يُقال بعثه مع عبد الله

«أما بعد فقد ورد عليّ كتاب مسلم بن عقيل يخبرني باجتماعكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسألت الله أن يحسن لنا الصنع، ويثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم، فإني قادم في أيامي هذه».

ولمّا وصل قيس إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير التميمي ـ وكان صاحب شرطة ابن زياد ـ أمره أن ينظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان[1] ومنها إلى القطقطانة فأراد أن يفتّشه فأخرج قيس الكتاب وخرّقه.

ولما مثل بين يدي ابن زياد قال: لماذا خرّقت الكتاب؟ قال: لئلاّ تطلّع عليه، فأصرّ ابن زياد على الإخبار بما فيه فأبى قيس، فقال: إن لم تخبرني فاصعد المنبر وسبّ الحسين وأباه وأخاه، وإلاّ قطّعتك إرباً إرباً.

بن يقطر ويجوز انه أرسل إليهم كتابين أحدهما مع عبد الله بن يقطر والآخر مع قيس بن مسهر وفي الإصابة ٣: ٤٩٢ بعد أن ذكر نسب قيس قال: وكان مع الحسين لما قتل بالطف وهو اشتباه، فإن ابن زياد قتله بالكوفة.

١ ـ في معجم البلدان ٣: ٤٥١: خفان: موضع قرب الكوفة وهو عين عليا قرية لولد عيسى ابن موسى الهاشمي، وفيه ٧: ١٣٥، القطقطانة بالضم ثم السكون قرب الكوفة تبعد عن الرهيمة نيفاً وعشرين ميلاً.

فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي وآله، وأكثر من الترحم على أميرالمؤمنين والحسن والحسين، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه وبني أميّة.

ثم قال: أيها الناس أنا رسول الحسين إليكم، وقد خلّفته في موضع كذا فأجيبوه، فأمر ابن زياد أن يرمى من أعلى القصر فتكسّرت عظامه ومات[1].

ويقال أمر ابن زياد أن يرمى مكتوفاً فرُمي من أعلى القصر[2] وكان به رمق، فقام إليه عبد الملك بن عمير اللخمي فذبحه فعيب عليه قال: أردت أن أريحه[3].

٦. في زرود:

ونزل الحسين عليه السلام في زرود، ونزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي، وكان غير مُشايع له ويكره النزول معه، ولكن الماء جمعهم في المكان.

روى السّدي عن رجل من بني فزارة كان يُرافق زهيراً رضي الله عنه في

١ ـ تاريخ الطبري ٦: ٣٢٤، والبداية ٨: ٦٨، والارشاد للمفيد، وروضة الواعظين: ١٥٢، وإعلام الورى: ١٣٦.

٢ ـ الإرشاد للمفيد ٢: ٧١.

٣ ـ روضة الواعظين والإرشاد، وفي ميزان الاعتدال ٢: ١٥١.

السفر الذي التحق فيه بالحسين:

قال: كنّا مع زهير بن القين البجلي رضي الله عنه حين أقبلنا مكة نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزله، فإذا سار الحسين عليه السلام تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدم زهير، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين عليه السلام في جانبٍ ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغذى من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلّم ثم دخل، فقال: يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام بعثني إليك لتأتيه قال: فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأننا على رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف: فحدثتني دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين قالت: فقلت له: أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه، سبحان الله، لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت. قالت: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه، قالت: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقدم (فقوّض ظ) وحمل إلى الحسين عليه السلام ثم قال لامرأته، أنت طالق إلحقي بأهلكِ فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلاّ خير[1].

١ ـ تاريخ الطبري ٧: ٢٩٠.

وفي رواية الملهوف قال: قد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي. ثم أعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها، فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام[1].

قال الطبري: ثم قال لأصحابه: مَن أحب منكم أن يتبعني وإلاّ فإنه آخر العهد، إني سأحدثكم حديثاً. غزونا بلنجر[2] ففتح الله علينا

١ ـ الملهوف: ٦٤.

٢ ـ بلنجر: من بلاد الترك، غزاهم المسلمون وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه في سنة ٢٢هـ وفي القمقام بلنجر بفتح الموحدة واللام وسكون النون وجيم مفتوحة وراء مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب، قالوا: فتحها عبد الرحمن بن ربيعة، وقال البلاذري سلمان (أي فتحها سلمان) بن ربيعة الباهلي وتجاوزها ولقيَه خاقان في جيشه بلنجر فاستشهد هو وأصحابه وكانوا أربعة آلاف وكان في أول الأَمر خافهم الترك، وقالوا: إن هؤلاء ملائكة لا يعمل فيهم السلاح فاتفق أن تركياً اختفى في غيضه (يعني بيشه) ورشق مسلماً بسهم فقتله، فنادى في قومه، إن هؤلاء يموتون كما تموتون فلمَ تخافونهم فأجروا عليهم وأوقعوهم حتى استشهد عبد الرحمن بن ربيعة، وأخذ الرايَة أخوه ولم يزل يقاتل حتى أمكنه دفن أخيه بنواحي بلنجر ورجع ببقية المسلمين على طريق جيلان وقتل سلمان بن ربيعة وأصحابه، وكانوا ينظرون في كل ليلة نوراً على مصارعهم فأخذوا سلمان بن ربيعة وجعلوه في تابوت فهم يستسقون به إذا قحطوا (منه). واحتمل أن الكلمة (بالبحر) وليس (بلنجر) وقد أخطأ النساخ في كتابة الكلمة. وقد بدأ المسلمون في ذلك التاريخ بغزوات البحر.

وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلي ـ وفي روايات أُخر سلمان الفارسي رضي الله عنه ـ أفرحتم بمافتح الله عليكم وأصبتم من المغانم؟ فقلنا: نعم. فقال: إذا أدركتم سيد شباب آل محمد عليهم السلام فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم. فأما أنا فإني أستودعكم الله. قال: ثم والله مازال في أول القوم حتى قتل (رضوان الله عليه)[1].

٧. في قصر بني مقاتل:

وفي قصر بني مقاتل رأى فسطاطاً مضروباً ورمحاً مركوزاً وفرساً واقفاً فسأل عنه فقيل هو لعبيد الله بن الحر الجعفي، وبعث إليه الحجاج بن مسروق الجعفي فسأله ابن الحر عمّا وراءه؟

قال: هدية إليك وكرامة: إن قبلتها. هذا حسين يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أجرت وإن قتلت استشهدت فقال ابن الحرّ: والله ما خرجت من الكوفة إلاّ لكثرة ما رأيته خارجاً لمحاربته وخذلان شيعته فعلمت أنه مقتول ولا أقدر على نصره ولست أحبّ أن يراني وأراه[2].

فأعاد الحجاج كلامه على الحسين فقام صلوات الله عليه ومشى

١ ـ نفس المهموم، للشيخ عباس القمي: ١٨٠ ـ ١٨٢.

٢ ـ الأخبار الطوال: ٢٤٩.

إليه في جماعة من أهل بيته وصحبه فدخل عليه الفسطاط فوسّع له عن صدر المجلس. يقول ابن الحرّ: ما رأيت أحداً قط أحسن من الحسين ولا أملأ للعين منه، ولا رققت على أحد قط رقّتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله، ونظرت إلى لحيته فرأيتها كأنها جناح غراب، فقلت له أسواد أم خضاب؟ قال: **يا ابن الحرّ عجّل عليّ الشيب**، فعرفت إنه خضاب[1].

ولما استقر المجلس بأبي عبد الله حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**يابن الحر إن أهل مصركم كتبوا إليّ أنهم مجتمعون على نصرتي، وسألوني القدوم عليهم، وليس الأمر على ما زعموا**[2]، **وإن عليك ذنوباً كثيرة، فهل لك من توبة تمحي به ذنوبك؟**

قال: وما هي يا ابن رسول الله؟ فقال: **تنصر ابن بنت نبيّك وتقاتل معه**[3].

فقال ابن الحرّ: والله إنّي لأعلم أنّ من شايعك كان السعيد في الآخرة ولكن ما عسى أن أُغني عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً؟ فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة فإن نفسي لا

١ ـ خزانة الأدب، للبغدادي ١: ٢٩٨ ط. بولاق. وأنساب الأشراف ٥: ٢٩١.

٢ ـ نفس المهموم: ١٠٤.

٣ ـ أسرار الشهادة: ٢٣٣.

تسمح بالموت، ولكن فرسي هذه (المحلقة) والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلاّ لحقته، ولا طلبني أحد وأنا عليها إلاّ سبقته، فخذها فهي لك.

قال الحسين: **أمّا إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا في فرسك**[1] **ولا فيك، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾**[2]. **وإني أنصحك كما نصحتني، إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلاّ أكبّه الله في نار جهنم**»[3].

وندم ابن الحرّ على ما فاته من نصرة الحسين عليه السلام فأنشأ:

أيا لَكِ حسرةً مادمت حيّاً ... تـرَدّد بين صدري والتراقي

غداة يقولُ لي بالقصر قولاً ... أتتركنا وتعزم بالفراق

حسينٌ حين يطلب بذل نصري ... على أهل العداوة والشقاق

فلو فَلَق التلهّفُ قلب حرّ ... لهمّ اليوم قلبي بانفلاق

ولو واسيته يوماً بنفسي ... لنلتُ كرامة يوم التلاق

١ ـ الأخبار الطوال: ٢٤٩.

٢ ـ أمالي الصدوق: ١٩٤، المجلس: ٣٠.

٣ ـ خزانة الأدب ١: ٢٩٨.

مع ابن محمد تُفديه نفسي ... فودع ثم أسرع بانطلاق
لقد فاز الألى نصروا حسيناً ... وخاب الآخرون ذووا النفاق[1]

وفي هذا الموضع اجتمع به عمرو بن قيس المشرقي وابن عمّه فقال لهما الحسين عليه السلام: «**جئتما لنصرتي**، قالا له: إنّا كثيروا العيال، وفي أيدينا بضائع للناس، ولم ندرِ ماذا يكون، ونكره أن نضيّع الأمانة.

فقال لهما عليه السلام: **انطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا تريا لي سواداً، فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجبنا، كان حقاً على الله عز وجل أن يكبه على منخريه في النار**»[2].

٨ـ في منزل شراف:

وفي (شراف) طلع عليهم الحر الرياحي بألف فارس، بعثه ابن زياد ليحبس الحسين عليه السلام عن الرجوع إلى المدينة أينما يجده، أو يقدم به إلى الكوفة.

فسقاهم الحسين عليه السلام ماءً وكانوا عطاشى، ثم خطب فيهم الحسين عليه السلام وقال: «**إنها معذرة إلى الله عزّوجلّ وإليكم، وإني لم**

١ ـ مقتل الخوارزمي ١: ٢٢٨، وذكره الدينوري في الأخبار الطوال: ٢٥٨.
٢ ـ مقتل الحسين، للسيد عبد الرزاق المقرّم: ٢٠٢ ـ ٢٠٥.

آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت بها عليّ رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام، ولعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئن به من عهودكم ومواثيقكم، وإن كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم»[1].

٩ـ في منزل البيضة:

وفي منزل البيضة خطب الحسين عليه السلام في أصحاب الحر فقال:

«**أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله.**

ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيّر وقد أتتني كتبكم، وقدمت على رسلكم أنكم لا تسلّموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ وأمي فاطمة بنت رسول الله. نفسي مع أنفسكم وأهلي مع

١ ـ المصدر السابق: ١٩٥.

أهليكم، ولكم فيّ أُسوة، وإن لم تفعلوا، ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فَلَعمري ما هي لكم بنُكر. لقد فعلتموها، بأبي وأخي وابن عمي مسلم. فالمغرور من اغترّ بكم. فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

١٠. في كربلاء (استنصاره بني أسد):

وفي كربلاء أقبل حبيب بن مظاهر الأسدي إلى الحسين بن علي عليه السلام فقال: هاهنا حي من بني أسد بالقرب منا أتأذن لي أن أسير إليهم أدعوهم إلى نصرتك؟ فعسى الله أن يدفع بهم عنك بعض ما تكره، فقال له الحسين عليه السلام: **قد أذنت لك يا حبيب**، قال: فخرج حبيب بن مظاهر في جوف الليل متنكراً حتى صار إلى أولئك القوم، فحيّاهم وحيّوه وعرفوا أنه من بني أسد، فقالوا: ما حاجتك؟ يا ابن عمّ؟ فقال: حاجتي إليكم قد أتيتكم بخير ما أتى به وافد إلى قوم، أتيتكم أدعوكم إلى نصرة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه في عصابة من المؤمنين، الرجل منهم خير من ألف رجل ولن يخذلوه

١ ـ الطبري ٦: ٢٢٩، ومقتل الحسين، للمقرم: ١٩٨.

ولن يسلموه وفيهم عين نظرت، وهذا عمر[1] بن سعد قد أحاط به في اثنين وعشرين ألف، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد جئتكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم في نصرته تنالون غداً شرفاً في الآخرة، فإني أقسم بالله أنه لا يقتل منكم رجل مع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله صابراً محتسباً إلاّ كان رفيق محمد صلى الله عليه وآله في أعلى عليين. قال: فوثب رجل من بني أسد يُقال له بشر بن عبيد الله فقال: والله أنا أول من أجاب إلى هذه الدعوة، ثم أنشأ يقول:

قد علِم القوم إذا تواكلوا ... وأحجم الفرسان أو تناصلوا
إنّي شجاع بطل مقاتل ... كأنني ليث عرين باسل

قال: ثم تبادر رجال الحي مع حبيب بن مظاهر الأسدي.

قال: وخرج رجل من الحي في ذلك الوقت حتى صار إلى عمر[2] بن سعد في جوف الليل فخبره بذلك، فأرسل عمر رجلاً من أصحابه يُقال له الأزرق بن حرب الصيداوي فضم إليه أربعة آلاف فارس، ووجه به في الليل إلى حي بني أسد مع الرجل الذي جاء بالخبر.

١ ـ في النسخ: عمرو.
٢ ـ في النسخ: عمرو.

قال: فبينما القوم في جوف الليل قد أقبلوا يريدون معسكر الحسين إذ استقبلهم جُند عمر بن سعد على شاطيء الفرات، قال: فتناوش القوم بعضهم [بعضاً] واقتتلوا قتالاً شديداً، صاح به حبيب بن مظاهر: ويلك يا أزرق ما لك ولنا دعنا؟ قال: واقتتلوا قتالاً شديداً.

فلما رأى القوم ذلك انهزموا راجعين إلى منازلهم، فرجع حبيب بن مظاهر الى الحسين عليه السلام فأعلمه بذلك الخبر فقال: **لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم**[1].

١١. في كربلاء (رسالة الحسين عليه السلام إلى أشراف الكوفة) :

وفي كربلاء دعا الحسين عليه السلام بدواة وبيضاء، وكتب إلى أشراف الكوفة ممن كان يظن انه على رأيه:

«**بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى سليمان بن صرد الخزاعي**[2].

أما بعد فقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته من رأى سلطاناً جائراً، إلى آخر ما ذكره في خطبة الأصحاب».

١ ـ كتاب الفتوح لابن الأعثم الكوفي٥: ١٥٩ ـ ١٦٢، ط ١.

٢ ـ نفس المهموم: ٢٠٧، البحار ٤٤: ٣٨٢.

يوم عاشوراء:

وللحسين عليه السلام يوم عاشوراء استنصاران واستغاثة:

وفيما يلي تفصيل كل من الاستنصارين والاستغاثة الحسينية في يوم عاشوراء.

١٢. الاستنصار الأول يوم عاشوراء:

دعا الحسين عليه السلام براحلته يوم عاشوراء فركبها ونادى بصوت عال يسمعه جلّهم:

«**أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما هو حقّ لكم عليّ، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدّقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم، ﴿فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾[1]، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾**»[2].

فلما سمعن النساء هذا منه صحن وبكين وارتفعت أصواتهم،

١ ـ يونس: ٧١.

٢ ـ الأعراف: ١٩٦.

فأرسل إليهنّ أخاه العباس وابنه علي الأكبر وقال لهما: **سكّتاهن فَلَعمري لَيكثر بكاؤهن.**

ولما سكتن حمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد وعلى الملائكة والأنبياء، وقال في ذلك ما لا يُحصى ذكره ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه[1].

ثم قال: **الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الدنيا فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيّب طمَع من طمِع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد ﷺ، ثم إنكم زحفتم إلى ذريته وعترته تريدون قتلهم، وقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون إنّا لله وإنّا إليه راجعون هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبُعداً للقوم الظالمين**[2].

أيها الناس، انسبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم

---

١ ـ تاريخ الطبري ٦: ٢٤٢.

٢ ـ مقتل محمد بن أبي طالب.

وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه، وأول المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوَ ليس حمزة سيد الشهداء عم أبي، أوَ ليس جعفر الطيار عمي، أوَلم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة؟ فإن صدّقتموني بما أقول، وهو الحق فوالله ما تعمدت الكذب منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه وإن كذّبتموني فإن فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك اخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الانصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس ابن مالك، يخبرونكم إنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي.

فقال الشمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما تقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنك صادق، ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثم قال الحسين عليه السلام: **فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكّون أني ابن بنت نبيكم؟**

فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم! أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته، أو بقصاص جراحة؟ فأخذوا لا يكلمونه.

فنادى:**يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن أقدم قد أينع الثمار واخضرّ الجناب وإنما تقدم على جُند لك مجندة.**

فقالوا: لم نفعل.

قال: **سبحان الله، بلى والله لقد فعلتم.** ثم قال: **أيها الناس، إذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض،** فقال له قيس بن الأشعث: أوَلا تنزل على حكم بني عمك؟ فإنهم لن يروك إلاّ ما تحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه.

فقال الحسين عليه السلام: **أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنوا هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد**[1]**، عباد الله ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي**

١ ـ بالفاء الموحدة فيما رواه ابن نما في مثير الأحزان: ٢٦، وهو أصح مما يمضي على الألسن، ويوجد في بعض المقاتل بالقاف من الإقرار لأنه على هذا تكون الجملة الثانية غير مفيدة إلاّ ما أفادته التي قبلها، بخلاف على قراءة «الفرار» فإن الجملة الثانية تفيد أنه لا يفر من الشدة والقتل كما يصنعه العبيد، وهو معنى غير ما تؤدي إليه الجملة التي قبلها، على أنه يوجد في كلام أمير المؤمنين ما يشهد له، ففي تاريخ ابن الأثير ٣ : ١٤٨،

وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب»[1].

١٣. الاستنصار الثاني في يوم عاشوراء:

ثم إن الحسين عليه السلام ركب فرسه وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه، ووقف بأزاء القوم وقال: «**يا قوم، إن بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدي رسول الله** صلى الله عليه وآله»[2].

ثم استشهدهم عن نفسه المقدسة وما عليه من سيف النبي صلى الله عليه وآله ودرعه وعمامته فأجابوه بالتصديق فسألهم عما أقدمهم على قتله؟ قالوا: الإسلام طاعة للأمير عبيد الله بن زياد، فقال عليه السلام:

تباً لكم أيها الجماعة وترحاً! أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوّكم؟ فأصبحتم ألباً لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم فهلا، لكم الويلات، تركتمونا، والسيف مشيم،

وشرح نهج البلاغة ١: ١٠٤، المطبعة الأميرية. أن أمير المؤمنين قال في مصقلة بن هبيرة لما فرّ إلى معاوية: ما له فَعلَ فعل السيد وفَرّ فرار العبد وخان خيانة الفاجر؟

١ ـ مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرّم: ٢٥٤ ـ ٢٥٧.

٢ ـ تذكرة الخواص: ١٤٣.

والجأش طاعن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم كطيرة[1] الدبا، وتداعيتم عليها، كتهافت الفراش، ثم نفضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان ومطفئي السُنن! ويحكم! أهؤلاء تعضدون وعنّا تتخاذلون؟ أجل والله غدر فيكم قديم وشجت عليه أصولكم، وتأزرت فروعكم فكنتم أخبث ثمر، شجىً للناظر وأكلة للغاصب.

ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين إثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر»[2].

١٤. الاستغاثة الأخيرة للحسين عليه السلام يوم عاشوراء:

ولما نظر الحسين عليه السلام كثرة من قتل من أصحابه، قبض على

١ ـ بالكسر فالفتح «تاج العروس».

٢ ـ نقلناها من اللهوف: ٥٤، ورواها ابن عساكر في تاريخ الشام ٤: ٣٣٣، والخوارزمي في المقتل: ٢: ٦.

شيبته المقدسة وقال: «**اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه، واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم، أما والله لا أجيبهم إلى شيء يريدون حتى ألقى الله وأنا مخضب بدمي، ثم صاح أما من مغيث يغيثنا أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله**» [1] فبكت النساء وعلا صراخهن.

وسمع الأنصاريان سعد بن الحارث وأخوه أبو الحتوف استنصار الحسين واستغاثته وبكاء عياله وكانا مع ابن سعد فمالا بسيفهما على أعداء الحسين وقاتلا حتى قُتلا[2].

قال السيد رحمه الله: «ولما رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه وأحبّته عزم على لقاء القوم بمهجته ونادى: **هل من ذاب يذبّ عن حرم رسول الله، هل من موحّد يخاف الله فينا، هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا، هل من مُعين يرجو ما عند الله في إعانتنا**. فارتفعت أصوات النساء بالعويل، فتقدم إلى باب الخيمة وقال لزينب: **ناوليني ولدي الصغير حتى أودعه**، فأخذه وأومأ إليه ليقبّله، فرماه

١ ـ اللهوف: ٥٧.

٢ ـ الحدايق الوردية (مخطوط).

حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فوقع في نحره فذبحه[1].

فقال عليه السلام لزينب: **خُذيه**، ثم تلقّى الدم بكفيه فلما امتلأت رمى بالدم نحو السماء، ثم قال: **هوّن عليّ ما نزل بي إنه بعين الله**»[2].

وحكى السبط في التذكرة عن هشام بن محمد الكعبي قال: لما رآهم الحسين عليه السلام مصرين على قتله، أخذ المصحف ونشره وجعله على رأسه ونادى: «**بيني وبينكم كتاب الله وجدي محمد رسول الله، يا قوم بِمَ تستحلون دمي؟**» فساق الكلام[3] إلى أن قال: فالتفت الحسين عليه السلام فإذا بطفل له يبكي عطشاً، فأخذه على يده وقال: **يا قوم إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل**، فرماه رجل منهم بسهم فذبحه، فجعل الحسين عليه السلام يبكي ويقول: **اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا فقتلونا**، فنودي من الهواء: دعه يا حسين فإن له مرضعاً في الجنة.

---

١ ـ الملهوف: ١٠٢.

٢ ـ الملهوف: ١٠٣.

٣ ـ هذا كلامه عليه السلام الذي ساقه: ألست ابن بنت نبيكم، ألم يبلغكم قول جدي فيّ وفي أخي: «هذان سيدا شباب أهل الجنة» إن لم تصدقوني فاسألوا جابراً وزيد بن أرقم وأبا سعيد الخدري، أليس جعفر الطيار عمي؟ فناداه شمر: الساعة ترد الهاوية. فقال الحسين عليه السلام: الله أكبر أخبرني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: رأيت كأن كلباً ولغ في دماء أهل بيتي وما أخالك إلاّ إياه، فقال شمر: أنا أعبد الله على حرف إن كنت أدري ما تقول، فالتفت الحسين فإذا بطفل له ـ الخ «منه». تذكرة الخواص: ١٤٣.

ثم قال: ورماه حصين بن تميم بسهم فوقع في شفتيه، فجعل الدم يسيل من شفتيه وهو يبكي ويقول: **اللهم أشكوا إليك ما يفعل بي وبإخوتي وولدي وأهلي**... الخ»[1].

١٥. استنصار زهير رضي الله عنه يوم عاشوراء:

وخرج إليهم زهير بن القين على فرس ذنوب، وهو شاك في السلاح فقال: «يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة إن الله ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وآله لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلاّ سوء، عمر سلطانهما، ليسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه» فسبّوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا: لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به

---

١ ـ تذكرة الخواص: ١٤٣.

وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سلماً.

فقال زهير: عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، فخلوا بين هذا الرجل وبين يزيد، فَلَعمري إنه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام. فرماه الشمر بسهم وقال: اسكت أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال زهير: يا ابن البوّال على عقبيه ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم. فقال الشمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة. فقال زهير: أفبالموت تخوفني؟ فوالله لَلْموت معه أحب إليّ من الخلد معكم، ثم أقبل على القوم رافعاً صوته وقال:

عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم.

فناداه رجل من أصحابه أن أبا عبد الله يقول لك: «**أقبل، فَلَعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء، فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ**»[1].

---

١ ـ تاريخ الطبري ٦: ٢٤٣.

ب. الدلالات:

الدلالات الأربعة لخطاب الاستنصار الحسيني

لخطاب الاستنصار الحسيني أربع دلالات:

١ـ الدلالة السياسية، ٢ـ الدلالة الحركية، ٣ـ الدلالة الولائية، ٤ـ الدلالة الشمولية.

وفيما يلي توضيح وشرح لهذه الدلالات الأربع التي يتضمنها الخطاب الحسيني.

١. المضمون السياسي لخطاب الاستنصار الحسيني

الاستنصار، والتعبئة، وتحشيد الرأي العام، والإعلام ضد الطاغية، من مقومات كل مواجهة سياسية ضد نظام حاكم، يحكم بالظلم.

فإنّ الصراع على الحكم بين الحاكم والمعارضة صراع غير متكافئ من الناحية الميدانية.

ذلك أن الحاكم يملك من القوة والمال والإعلام والسلطان ما لا يتملكه المعارضة.

ولا غنى للمعارضة أية معارضة، في معركة من هذا القبيل من أن تعمل كلّ جهدها، وتسعى لكسب الرأي العام إلى جانبها،

وكسب القوة والاستنصار، وتحشيد الرأي العام والتعبئة.

ونحن على يقين أن الحسين(عليه السلام) لم يكن يفكر، يوم أقدم على الخروج... في أن يهزم طاغية عصره في مواجهة عسكرية ميدانية، ولا نحتاج إلى محاسبات عسكرية وسياسية لنعرف أنّ الحسين(عليه السلام) لم يكن بصدد إسقاط يزيد، وانتزاع السلطان والمُلك والحكم من يده، وهو أولى من غيره.

وإنما كان الحسين(عليه السلام) يفكر في أمرين أحدهما سياسي، والآخر حركي.

أما الهدف السياسي من حركة الحسين(عليه السلام) وهو إلغاء شرعية الخلافة الأموية وفضح يزيد، وكسر هيبته وعزله سياسياً واجتماعياً.

وأما الهدف الحركي فهو توعية الناس، وكسر حاجز الخوف، وتحريك الناس وتثويرهم لإسقاط نظام الطاغية، واستنهاض الأمة، وإعادة إرادتها المسلوبة ووعيها المسلوب إليها.

والهدف الأول هدف سياسي بالتأكيد، والحسين(عليه السلام) يدخل في مواجهة سياسية مع أعتى نظام سياسي وأشرسه، والاستنصار جزء من هذه المعركة.

والاستنصار دعوة إلى تطويق النظام الأموي ومحاصرته وعزله، وتحجيم دوره وإلغاء شرعيته... وهو جزء من رسالة الإمام الحسين(عليه السلام) في هذه المعركة الشاملة.

٢. المضمون الحركي لخطاب الاستنصار الحسيني

والدلالة الأخرى لخطاب الاستنصار الحسيني هي الدلالة الحركية...

ولتوضح ذلك لابدّ أن نرسم الإطار العام لخروج الحسين(عليه السلام) وعناصر هذا الإطار ثلاثة:

١ــ رفض البيعة ليزيد: وقد أعلن الحسين(عليه السلام) رفضه لبيعة يزيد عندما أرسل الوليد والي بني أمية في المدينة، يطالبه بالبيعة بعد هلاك معاوية، وكان ذلك بحضور مروان بن الحكم، فامتنع الحسين(عليه السلام) من البيعة، وقال: «**مثلي لا يبايع سرّاً فإذا دعوت الناس دعوتنا معهم**.

فاقتنع الوليد، لكن مروان ابتدره قائلاً: إن فارقك الساعة، ولم يبايع لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم، ولكن احبس الرجل حتى يبايع أو تضرب معهم.

فقال الحسين(عليه السلام): **يا ابن الزرقاء**[1] **أنت تقتلني أم هو، كذبت وأثمت.**

ثم أقبل على الوليد، وقال: **أيها الأمير، إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد**

١ ـ الزرقاء جدة مروان وكانت من البغايا المعروفات. الفخرية: ٨٨.

رجل شارب الخمور، وقاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون»[1].

وفي كربلاء خطب الحسين عليه السلام وقال: «**إنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد خيّر بين السلّة والذلّة، وهيهات منا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت وطهرت**».

٢ـ إعلان الرفض: لم يتكتّم الحسين عليه السلام برفضه البيعة، وعرف الناس جميعاً إن الحسين عليه السلام ممتنع عن البيعة ونصحه بعض الناس بالبيعة وآخرون أن يخفي نفسه عن الأمصار.

ولكن الحسين عليه السلام أعلن أنه يرفض البيعة ويريد الخروج إلى مكة، وترك وصيته إلى بني هاشم وكافة المسلمين عند أخيه محمد بن الحنفية وغادر المدينة إلى مكة، سالكاً الطريق العام الذي يسلكه الناس، ويراه الناس فيه، فقيل له لو تنكّبت الطريق الأعظم، كما فعل ابن الزبير قال: **لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ**[2].

ودخل مكة، وهو يقرأ: ﴿**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاء مَدْيَنَ قَالَ عَسَى**

١ ـ مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم، عن الطبري وابن الأثير، والإرشاد، واعلام الورى، ومثير الأحزان لابن نما الحلي.

٢ ـ إرشاد المفيد.

رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ﴾[1] .

ونزل دار العباس بن عبد المطلب[2]، واختلف إليه أهل مكة ومَن بها من المعتمرين وأهل الآفاق، وكان ابن الزبير يأتي إلى الحسين عليه السلام فيمن يأتيه.

وكان بإمكان الحسين عليه السلام أن يأخذ بنصيحة من ينصحه، بإخفاء نفسه، فيخفي نفسه عن الأنظار، ويذهب إلى بعض الثغور، ويبتعد عن الأضواء، وبذلك يسلم من أذى بني أمية وكيدهم، وكان لا يخفى هذا الوجه على الحسين عليه السلام، كما صرح بذلك لجملة من الذين نصحوا، ولكنه أصرّ أن يرفض البيعة، وأصرّ أن يعلن رفضه، ويبقى تحت الأضواء، ويصارح الناس برأيه في يزيد وبيعته، وبأنّه أحقّ بذلك من كل إنسان آخر على وجه الأرض.

٣ـ الخروج والثورة: وأصرّ الحسين عليه السلام بعد ذلك أن يخرج من الحجاز إلى العراق ليواجه فيه بني أمية.

وإذا أنعمنا النظر في كلمات أولئك الذين نصحوا الحسين عليه السلام بالامتناع عن الخروج إلى العراق نجد أن كلامهم يتضمن ثلاث نقاط:

١ ـ القصص: ٢٢.

٢ ـ تاريخ ابن عساكر ٤: ٣٢٨.

الأولى: إن خروج الحسين عليه السلام إلى العراق بمعنى الثورة[1] والمواجهة بعينها لنظام بني أمية.

والثانية: إن شيعة الحسين عليه السلام في العراق إذا وفوا للحسين عليه السلام بعهودهم ومواثيقهم، فلن يستطيعوا أن يدفعوا عن الحسين عليه السلام كيد بني أمية ومكرهم وشرّهم، ولن يغلبوا سلطان بني أمية على العراق.

والثالثة: وبناءً على ذلك فإن الحسين عليه السلام إذا خرج إلى العراق فهو مقتول لا محالة.

ولم تكن هذه الحقائق تخفى على الإمام عليه السلام، ولم يكن يجهل الإمام عليه السلام إن خروجه إلى العراق بمعنى الخروج على سلطان بني أمية علانية، ولم تكن تخفى على الحسين عليه السلام عاقبة هذا الخروج.

ولا يصح ما يرويه بعض الناس أن الحسين عليه السلام طلب منهم أن يخلوا له الطريق إلى بعض الثغور، بعيداً عن الأضواء، وبعيداً عن التصدي والمواجهة، فلا يعطيهم يده للبيعة ولا يتصدى للخروج والمواجهة.

١ ـ انظر نصيحة محمد بن الحنفية للحسين عليه السلام في المدينة ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤: ٧. ونصيحة له في مكة ـ البحار: ٤٤، ونصيحة عبد الله بن جعفر الطيار له بالامتناع عن الخروج إلى العراق ـ الطبري ٦: ٢١٩، ونصيحة عبد الله بن العباس له ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤: ١٦، ونحن نشكّ في صدق كلّ هؤلاء في نصيحتهم للحسين عليه السلام، ولا نشكّ أن الحسين عليه السلام لم يكن يخفى عليه هذا الوجه من الرأي.

روى الطبري وابن الأثير عن عقبة بن سمعان أنه قال: صحبت حسيناً فخرجت معه من المدينة إلى مكة ومن مكة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قتل عليه السلام، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة، ولا بمكة، ولا في الطريق ولا بالعراق، ولا في معسكر إلى يوم قتله إلاّ وقد سمعتها. لا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيّروه إلى ثغور المسلمين، ولكنه قال: «**دعوني في هذه الأرض حتى تنظر ما يصير أمر الناس**»[1].

وكان من رأي محمد بن الحنفية أن يخفي الحسين عليه السلام نفسه عن الأنظار، ويبتعد عن أجواء المواجهة والتصدي، ويلتحق بالجبال وشعب الجبال، ويخرج من بلد إلى آخر، حتى ينظر ما يصير إليه أمر الناس[2].

فأبى الحسين عليه السلام وأصرّ على الخروج ونصحه ابن عباس أن يسير إلى اليمن، فإن بها حصوناً وشعاباً وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيه عليه السلام بها شيعة، وهو عن الناس في عزلة.

فقال له الحسين عليه السلام: «**يا ابن العم إني والله أعلم إنك ناصح**

١ ـ تاريخ الطبري ٧: ٣١٤، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٤: ١٥.
٢ ـ تاريخ الطبري ٦: ١٩١، وأنساب الأشراف ٤: ١٥.

مشفق، وقد أزمعت على المسير»[١].

إذن فإن الحسين عليه السلام كان يقصد الخروج ويريده، وهو على علم بكل لوازمه وتبعاته وعواقبه.

هذا هو الإطار العام لحركة الإمام الحسين عليه السلام وموقفه من المدينة إلى كربلاء، وفي هذا الإطار نستطيع أن نفهم خطاب الاستنصار الحسيني.

إن الحسين يعلم أنه إن خرج إلى العراق يُقتل لا محالة، وكل القرائن والدلائل تشير إلى هذه الحقيقة.

إذن فإن الحسين عليه السلام يطلب النصر بالقتل والدم. ولم يكن يفطن يومئذ ابن عباس وعبد الله بن جعفر الطيار ومحمد بن الحنفية لهذه الوسيلة التي اتخذها الحسين عليه السلام يومئذ طريقاً إلى النصر.

لقد كان الحسين عليه السلام شاهداً لنجاحِ المؤامرة الأموية التي قادها آل أبي سفيان للانقلاب على الأعقاب... وقد فقدت الأمة في عرضها العريض حصانتها تجاه هذه المؤامرة، وعاد الضمير الإسلامي لا يملك الدرجة الكافية من المناعة والمقاومة. ولا يختلف في ذلك أهل العراق عن أهل الشام، وأهل مصر عن أهل الحجاز، فأراد الحسين عليه السلام أن يحدث هزة بشهادته وشهادة الثلة

١ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤: ١٦.

الطيبة من أهل بيته وأصحابه في الضمير الإسلامي، ويعيد إليهم ما سلبه منهم آل أبي سفيان من ضمائرهم وعزائمهم ورشدهم.

وقد كان الذي يريده الحسين عليه السلام بمصرعه ومصرع أهل بيته وأصحابه والمأساة التي يتناقلها أهل السير فأحدث في الضمير الإسلامي هزة عنيفة، وصحوة ضمير كانت مبدأ كثير من البركات والثورات والوعي واليقظة السياسية في تاريخ الإسلام.

المؤامرة الأموية على دم الحسين عليه السلام

وقد خطط آل أبي سفيان لإهدار دم الحسين عليه السلام في مكة في موسم الحج، وبلغ الحسين عليه السلام أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر، وأمّره على الحج وولاّه أمر الموسم، وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجده[١]، فعجّل الحسين بالخروج من مكة قبل الوقوف بعرفات يوم التروية، ولم يمكّن بني أمية من اغتياله فيذهب دمه هدراً، وبذلك أحبط المؤامرة التي خطط لها بنو أمية.

يروي أبو مخنف عن أسديّين قالا: خرجنا من الكوفة حتى قدمنا مكة، فدخلنا يوم التروية فإذا نحن بالحسين عليه السلام وعبد الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحجر والباب... فسمعنا

١ ـ مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرّم: ١٧٢، والمنتخب الحسني: ١٧٢.

ابن الزبير يقول للحسين عليه السلام: إن شئت أن تقيم أقمت فولّيت هذا الأمر ؛ فآزرناك وساعدناك ونصحناك وبايعناك.

فقال الحسين عليه السلام: «**إنّ أبي حدثني أنّ كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أحب أن أكون ذلك الكبش**»[1].

ولما بلغ عمرو بن سعيد أنّ حسيناً قد خرج فقال: اطلبوه، اركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلبوه. فعجب الناس من قوله هذا[2].

فاعترضه عليه السلام يحيى بن سعيد بن العاص ومعه جماعة أرسلهم عمرو بن سعد إليه فقالوا له عليه السلام: **انصرف أين تذهب؟** فأبى عليهم ومضى وتدافع الفريقان وتضاربوا بالسياط وامتنع الحسين عليه السلام وأصحابه امتناعاً قوياً [3].

وواضح لمن يعلم خفايا كيد بني أمية، أن بني أمية كانوا لا يريدون أن يعطوا للحسين عليه السلام فرصة للخروج والثورة، وكانوا يخططون لاغتيال الحسين عليه السلام.

وقد جاء عمرو بن سعيد بن العاص من عند يزيد بخطة كاملة لاغتيال الحسين عليه السلام في الموسم.

---

١ ـ تاريخ الطبري ٧: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

٢ ـ العقد الفريد ٤: ٣٧٧.

٣ ـ الإرشاد: ٢٠١.

فلما علم الإمام بذلك غادر مكة إلى العراق يوم التروية، ليفوّت على آل أبي سفيان فرصة المؤامرة ويحبط عليهم خطّتهم.

وقد أزعج عمرو بن سعيد بن العاص نبأ مغادرة الحسين عليه السلام للموسم يوم التروية بهذه الصورة، وأرسل إليه يحيى بن سعيد بن العاص ليطلب من الحسين أن يعود إلى الموسم، إلاّ أنه رجع من دون أن يحقق شيئاً مما كان يريده عمرو بن سعيد بن العاص، كما لم يصنع مروان بن الحكم قبله شيئاً، عندما أنكر على الوليد أن يترك الحسين عليه السلام ليخرج من عنده من غير بيعة في تلك الليلة.

وقال له بصراحة: (إن فارقك الساعة ولم يبايع لم تقدر منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم، ولكن احبس الرجل حتى يبايع أو تضرب عنقه).

ولكن الحسين عليه السلام كان قد أعدّ العدة لمثل هذه المفاجأة من قبل، فصحب معه جمعاً من الفتيان، وقفوا بسيوفهم على باب الأمير ليتدخلوا بالقوة إذا اقتضى الأمر، وكان كذلك.

عودة إلى الدلالة الحركية للخطاب الحسيني:

إذن، كان الحسين عليه السلام يعدّ نفسه للخروج والثورة على يزيد، وهو لا يريد بهذه الثورة إلحاق هزيمة عسكرية بيزيد، وإنما يريد

أن يستنهض المسلمين ويحفّزهم ويحرّكهم لمقاومة الظالم، ويعيد إليهم وعيهم وضمائرهم وعزائمهم كما قلنا.

فلست أدري ماذا دهى المسلمين حتى رضوا بيزيد بن معاوية خليفة رسول الله ﷺ ولم يمض من وفاة رسول الله ﷺ أكثر من نصف قرن.

وخطاب الاستنصار الحسيني يحمل الدعوة إلى الثورة والمقاومة في وجه الظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول ؑ في منزل البيضة في أصحاب الحرّ:

«**أيها الناس إن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله**». وهذه هي الصفة البارزة الأولى في خطاب الاستنصار الحسيني.

٣. المضمون الولائي لاستنصار الحسين ؑ:

للاستنصار علاقة وثيقة بشبكة الولاء، فتجب النصرة في شبكة الولاء عند الاستنصار. وشبكة الولاء ذات بُعدين: البعد العمودي، والبعد الأفقي، وهما سواء في وجوب النصرة عند الاستنصار.

البعد العمودي من شبكة الولاء:

أما البعد العمودي في هذه الشبكة فهو الولاء لله ولرسول ﷺ ولأئمة المسلمين وأولياء أمورهم. يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1] وقد ورد في تفسير هذه الآية المباركة بأسانيد مستفيضة عن طرق الفريقين إن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب ؑ إمام المسلمين، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾، عندما تصدّق بخاتمه وهو راكع في الصلاة خلف رسول الله ﷺ ويقول تعالى: ﴿**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ**﴾[2] .

البعد الأفقي من شبكة الولاء:

وأما البعد الأفقي في هذه الشبكة فهو الولاء للمؤمنين: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء**﴾ وعلى هذا البعد من شبكة الولاء: المؤمنون أسرة واحدة، تربطهم رابطة الولاء، مهما كانت لغاتهم وألوانهم وأوطانهم وطبقاتهم.

---

١ ـ المائدة: ٥٥.

٢ ـ النساء: ٥٩.

ويشترك البعد العمودي والبعد الأفقي في الولاء في وجوب الحبّ والنصر والنصيحة والسلام، ويتميّز البعد العمودي من الولاء بوجوب الطاعة، فتجب طاعة الله وطاعة رسوله، وطاعة أولي الأمر، وطاعة من يأمر الله تعالى ورسوله وأولوا الأمر بطاعتهم.

الصيغة التوحيدية في شبكة الولاء:

وكل ما يجب في هذه الشبكة على أعضائها من الحب والنصر والتعاون والنصيحة والسلام والتعاون والطاعة، إنما يجب بأمر الله تعالى.

ويأتي في امتداد طاعة الله تعالى وحده، فلا طاعة لرسول الله ولا لأولي الأمر من دون طاعة الله، وإنما يجب طاعتهما بأمر الله.

ولا يجب حبّ رسول الله ولا أولي الأمر ولا المؤمنين، ولا يجب نصرهم ولا تجب نصيحتهم إلاّ بأمر الله تعالى.

وهذه هي الصيغة (التوحيدية) لشبكة الولاء، وهي خصوصية بارزة ومحورية في كل هذه الشبكة، وفي كل ما يجب ويحرم في هذه الشبكة الواسعة، وفي أعضاء أسرة التوحيد الكبيرة.

مقومات الولاء في البعد الأفقي:

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ**

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾[١].

وهذه المجموعة من العناصر هي التي تشدّ المؤمنين بعضهم ببعض بآصرة الولاء. وهذه المجموعة هي الإيمان، والهجرة، والجهاد، بالأموال والأنفس والإيواء والنصرة.

والآية الكريمة وإن كانت تُشير إلى المهاجرين والأنصار صدر الإسلام، ولكن تبقى هذه العناصر بروحها من ثوابت الولاء، ولا ولاء من دونها بين المؤمنين.

ذلك أن أسرة التوحيد الكبيرة كلها في مواجهة الشِرك والكفر والظلم والاستكبار.

وهذه المواجهة حتمية من ناحية، ومصيرية من ناحية أخرى. فلابد أن يدخل المؤمنون في هذه المواجهة كتلة واحدة وصفاً واحداً، تربطهم آصرة الولاء أولئك بعضهم من بعض كما أن الأمر كذلك في أسرة الشِرك والكفر تدخل في هذه المواجهة كتلة واحدة، تربطها علاقة الولاء العضوية بعضهم من بعض.

---

١ ـ الأنفال: ٧٢.

الولاء والإيمان الحقّ:

والإيمان الحقّ، هو الإيمان الفاعل المؤثر الذي يشد بعض المؤمنين ببعض، ويجعلهم في مواجهة الكفر والشرك والاستكبار. والإيمان الحق خصيب وليس بعقيم. يوصل ويفصل: يوصل المؤمنين بعضهم ببعض، ويفصل المؤمنين عن المشركين والكافرين.

والإيمان الحق مصدر عطاء وثورة ونصر وفعل في حياة الإنسان المسلم. ولا يكون الإيمان حقاً إلاّ ضمن شبكة الولاء بكل مقوماتها.

يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾[1] .

وهذه هي القضية الأولى، والقضية الثانية أن المؤمنين حقاً بعضهم من بعض. يعني أن الإيمان الحقّ يجمع شتات المؤمنين، ويجعلهم كتلة واحدة وصفاً واحداً، ويجعل بعضهم من بعض كأعضاء الجسد الواحد.

---

١ ـ الأنفال: ٧٤.

خصائص وآثار شبكة الولاء

السلام والعصمة في شبكة الولاء:

ومن أهم خصائص شبكة الولاء حالة (السلام) و(العصمة). الإنسان المسلم يتعامل مع الآخرين بسلام. ويتمتع تجاه تعامل الآخرين بالعصمة، يمنح الآخرين السلام في تعامله معهم وعلاقته بهم، ويتمتع هو بالعصمة فلا يحق له أن يعتدي على أحد، ولا أن يؤذي أحداً من المسلمين ويظلمه، كما لا يحق لأحد أن يخترق العصمة التي منحها الله تعالى، ويهتكها.

فهو يعيش مع الآخرين (بسلام) من طرف، ويطالب الآخرين (بالعصمة) من طرف آخر، وهذا أحد أهم بنود الولاء في علاقة المؤمنين بعضهم ببعض داخل شبكة الولاء.

وإليكم توضيحاً موجزاً لهاتين الكلمتين: (السلام) و(العصمة).

معنى السلام:

رُوي عن رسول الله ﷺ: «**المسلم من سَلم المسلمون من لسانه ويده إلاّ بالحق ولا يحق أذى المسلم إلاّ بما يجب**».

وعن أبي عبد الله الصادقعليه السلام: «**المسلم اخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يخونه، ويحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاقد على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله رُحماء بينكم، متراحمين**»[١].

وشبكة الولاء على متانتها واستحكامها وقوتها حسّاسة شديدة الحساسية تجاه الإساءة والأذى.

عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام: «**إذا قال رجل لأخيه المؤمن أفّ خرج من ولايته**».

وإذا قال: «**أنت عدوي كفر أحدهما،ولا يُقبل من مؤمن عملاً، وهو مُضمر على أخيه سوءاً**»[٢].

وعن الصادقعليه السلام: «**إن اللعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت بينه وبين الذين يلعن، فإن وجدت مساغاً، وإلاّ رجعت إلى صاحبها، وكان أحق بها، فاحذروا أن تلعنوا فيحلّ بكم**»[٣].

---

١ ـ وسائل الشيعة ٨: ٥٤٣.

٢ ـ وسائل الشيعة ٨: ٦١١.

٣ ـ وسائل الشيعة ٨: ٦١٣.

معنى العصمة:

وفي العصمة روي عن رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**المسلم على ا لمسلم حرام: دمه وعرضه وماله**»[١].

وعن رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**المسلم أخو المسلم، لا يخونه لا يكذّبه ولا يخذله. كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه**»[٢].

وعن رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: «**كل مسلم على مسلم محرم**»[٣].

عن زيد الشحام عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام أنه قال: أن رسول الله وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع فقال: «**أيها الناس اسمعوا ما أقول لكم واعقلوا عني، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا،** ثم قال: **أي يوم أعظم حرمة؟** قالوا هذا اليوم، قال: **فأي شهر أعظم حرمة؟** قالوا هذا الشهر. قال: **فأي بلد أعظم حرمة** قالوا: هذا البلد.

قال: **فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألكم عن**

---

١ ـ مسند أحمد بن حنبل ٢: ٤٩١.

٢ ـ سُنن الترمذي ٤: ٣٢٥، ح ١٩٢٧.

٣ ـ مسند أحمد بن حنبل ٥: ٤ و ٥.

أعمالكم. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم»[1].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلاّ الله، فإذا قالوا فقد حرم عليّ دماؤهم وأموالهم**»[2].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاّ الله، فإذا قالوا لا إله إلاّ الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله**»[3].

علاقة النصر بشبكة الولاء:

وعلاقة النصر بشبكة الولاء علاقة وثيقة ومحكمة.

يقول تعالى: ﴿**وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ**﴾[4].

فإذا استنصر المسلمين مسلمون من مشارق الأرض أو مغاربها وجب على المسلمين ـ على نحو الكفاية ـ المبادرة إلى نصرهم.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**مَن أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي**

١ ـ الكافي، الفروع ٧: ٢٧٣، ووسائل الشيعة ١٩: ٢.
٢ ـ بحار الأنوار ٦٨: ٢٤٢.
٣ ـ مشكاة المصابيح: ١٢ ـ ١٤.
٤ ـ الأنفال: ٧٢.

يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»[1].

وعن البراء بن عازب قال: أمرالنبي صلى الله عليه وآله بسبع ونهانا عن سبع. فذكر ردّ السلام ونصر المظلوم وإجابة الداعي وإبرار القسم[2].

وعن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: «**لا يحضرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً وعدواناً ولا مقتولاً ولا مظلوماً إذا لم ينصره، لأن نصرة المؤمن على المؤمن فريضة واجبة، إذا هو حضره، والعاقبة أوسع ما لم يلزمك الحجة الظاهرة**»[3].

ويحرم خذلان المسلم إذا دعاه إلى نصرته وهو قادر على نصرته.

عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس من الإسلام في شيء، ومَن شهد رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس من المسلمين**»[4].

وقد سبق هذا الحديث بلفظ قريب.

١ ـ وسائل الشيعة ١١: ٥٦٠.
٢ ـ صحيح البخاري ٢: كتاب المظالم باب ٥.
٣ ـ بحار الأنوار ٧٥: ١٧ عن قرب الإسناد: ٢٦.
٤ ـ بحار الأنوار ٧٥: ٢١، عن نوادر الراوندي: ٢١.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما من مؤمن يخذل أخاه، وهو يقدر على نصرته إلاّ خذله الله في الدنيا والآخرة**»[1].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلاّ كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام**».

«**وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلاّ نصره الله في الدنيا والآخرة**»[2].

استنصاران للحسين عليه السلام في قصر بني مقاتل:

وإذا لم يسع المسلم تلبية استنصار المسلمين وإجابة دعوتهم، ونصرهم فلا يحضر استغاثتهم واستنصارهم.

وقد مرّ بنا قريباً قول الإمام الصادق عليه السلام حسب الرواية: «**لا يحضرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً وعدواناً**».

وقد كان الحسين عليه السلام إذا استنصر رجلاً فأبى عليه ينصحه أن يبتعد عنه ويغيب عن مصرعه لئلا يسمع باستغاثته.

وكان للحسين عليه السلام لقاءان في منزل قصر بني مقاتل[3] في طريقه إلى كربلاء:

اللقاء الأول بعبيد الله بن الحر الجعفي، واللقاء الثاني بعمرو بن قيس المشرقي وابن عمه.

وقد استنصرهم الحسين عليه السلام جميعاً، فاعتذروا ولم تطب نفسه بالموت، فنصحهم الحسين عليه السلام أن يبتعدوا عنه ويغيبوا عن مصرعه، لئلاً يسمعوا استغاثته فلا يجيبوه فيكبّهم الله تعالى في النار.

في اللقاء الأول إلتقى بعبيد الله بن الحر الجعفي فاستنصره، فاعتذر عبيد الله كما ذكرنا ذلك من قبل، وقال له انه لا يشك أن من شايعه كان سعيداً في الآخرة، ولكن نفسه لا تطيب بالموت، وأهدى إلى الحسين عليه السلام فرسه (الملحقة) ومدحها.

فقال له الحسين عليه السلام: «**أما إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا في فرسك، ولا فيك، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾، وإني أنصحك كما نصحتني إن استطعت أنَ لا تسمع صراخنا، ولا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيتنا أحد ولا ينصرنا إلاّ أكبه الله في نار جهنم**»[1].

---

١ ـ بحار الأنوار ٧٥: ١٧، عن آمالي الصدوق: ٢٩١.

٢ ـ بحار الأنوار ٧٥: ٢٠، عن ثواب الأعمال: ١٣٣.

٣ ـ يقول السيد عبد الرزاق المقرم: إن القصر ينسب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة يقع بين عين التمر والقطقطانة والقربات، خرّبه عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ثم جدده.

١ ـ مقتل الحسين للمقرم: ٢٠٢ ـ ٢٠٤ نقلاً عن آمالي الصدوق، المجلس ٣٠، وخزانة الأدب ١: ٢٩٨.

واللقاء الثاني في نفس المنزل بعمرو بن القيس المشرقي وابن عمه، رواه الصدوق في عقاب الأعمال.

قال: دخلت على الحسين أنا وابن عم لي، وهو في قصر بني مقاتل فسلمنا عليه.

فقال له ابن عمي: يا أبا عبد الله هذا الذي أراه خضاب أو شعرك، فقال: «**خضاب، والشيب إلينا بني هاشم يعجّل**.

ثم أقبل علينا، فقال: **جئتما لنصرتي**، فقلت: إني رجل كبير السن، كثير الدين كثير العيال، وفي يدي بضائع الناس ولا أدري ما يكون، وأكره أن أضيع أمانتي.

وقال له ابن عمي مثل ذلك.

قال لنا: **فانطلقا فلا تسمعا لي واعية، ولا تَرَيا لي سواداً، فإنه من سمع واعيتنا، أو رأى سوادنا فلم يجبنا، ولم يعبأ، كان حقاً على الله عزّوجلّ أن يكبّه على منخره في النار**».

الاستنصار لإتمام الحجة:

عاشوراء مفترق طريق، ومن فارق الحسين عليه السلام في عاشوراء عن علم وعمد، وسمع واعيته، وحضر استغاثته فسبيله نار جهنم، لاشك في ذلك.

وقد شطر الناس عاشوراء منذ سنة ٦١هـ إلى اليوم، شطرين: شطر إلى الجنة وشطر إلى النار.

فمن كان رأيه من رأي الحسين عليه السلام وهواه مع الحسين عليه السلام وموقفه مع الحسين عليه السلام كان سبيله الجنة.

ومن كان رأيه من رأي يزيد وهواه مع يزيد كان سبيله النار.

ذلك أن الحسين عليه السلام وارث الأنبياء والصديقين والمرسلين في مسير التاريخ كله، فمن كان هواه مع الحسين عليه السلام، كان لا محالة مع حركة الأنبياء والمرسلين والصديقين، ومن كان هواه مع آل أبي سفيان، كان موقفه لا محالة مع أعداء الأنبياء وخصومهم.

ولذلك فإن الحسين عليه السلام وارث الأنبياء، ويزيد وارث الطغاة والجبابرة، وعاشوراء من أيام (الفرقان) في التاريخ.

وقد شطر عاشوراء الناس كما ذكرنا منذ سنة ٦١ هـ إلى اليوم شطرين: (أنصاراً) و(أعداءً).

ولسنا نعرف شطراً وسطاً بينهما إلاّ أن يكون من المستضعفين الذين يرجون رحمة الله بالاستضعاف. إذن (عاشوراء) مفترق طريق.

وقد كان الحسين عليه السلام يحرص يوم عاشوراء وقبله أن يتمّ الحجة على كل أولئك الذين وقفوا مع آل أبي سفيان، ﴿**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ**

عَلَى اللّه حُجَّةٌ﴾، وكان يحرص أن ينقذ من يمكن إنقاذه، ويصلح من يمكن إصلاحه ويهدي من يمكن هدايته.

كان الحسين عليه السلام يتم الحجة في استنصاره واستغاثته الذي تكرر منه على كل الذين قاتلوه وحاربوه وظلموه، أو وقفوا من مصرعه موقف المتفرج الذي لا يبالي ماذا حدث.

فقد كان عليه السلام يعلم بأن لهذا اليوم شأناً كبيراً في التاريخ، وأنه مفترق الطريق بين الحق والباطل والهدى والضلال، فأراد أن يتم الحجة على الناس لئلا يكون للناس حجة.

تنوّع الخطاب الحسيني:

ولذلك نجد أن الخطاب الحسيني للاستنصار خطاب متنوّع.

فهو عليه السلام حريص على أن ينفذ إلى تلك القلوب المغلقة، ويفتحها بأي أسلوب ممكن.

فهو يخاطب عقولهم تارة، ويخاطب ضمائرهم تارة، والضمير آخر قلعة يقاوم الباطل في نفس الإنسان.

ويخاطب قلوبهم وعواطفهم تارة، والعاطفة خزين مبارك من الخير والرحمة في نفس الإنسان، وآخر ما ينضب من نفس الإنسان قلبه وعاطفته.

لقد خاطب الحسين عليه السلام عقولهم يوم عاشوراء فقال لهم: «**أحين استنصرتمونا والهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحشيتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم**».

وخاطب ضمائرهم فقال: «**يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم**».

وخاطب عواطفهم ثالثاً فقال في آخر استغاثة له عليه السلام: «**أما من مغيث يغيثنا أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله**»، ومن مشاهد الاستغاثة المؤثرة استسقاؤه للطفل الرضيع يوم عاشوراء وهو يتلظّى عطشاً، فرفع إليهم الرضيع وقال: «**أما منكم من أحد يأتنا بشربة من الماء لهذا الطفل الرضيع؟**» ثم قال لهم «**اسقوا هذا الرضيع**»[1].

والعاطفة خزين مبارك من الخير والرحمة كما ذكرنا، وآخر ما ينضب في نفس الإنسان، تفيض بالرقة والرحمة.

وهذه الرقة والرحمة التي تفيض بها العاطفة تطهر القلب مما يعلق به من الدرن وتلين القلب، وتفتح مغاليق القلوب.

---

١ ـ الخصائص الحسينية، للسيد جعفر التستري: ١٨٦.

وقد تنغلق العقول ويتصامم الناس عن نداء العقل ولكنهم يستجيبون لنداء العاطفة، وتنفتح له قلوبهم.

المعنى الشمولي لخطاب الحسين عليه السلام:

لا نجد مبرراً للقول خطاب الحسين عليه السلام بالاستنصار كان مقتصراً على أولئك الذين عاصروا الحسين عليه السلام وشهدوا وقعة الطف.

وليس ثمة دليل في خطاب الحسين عليه السلام لحجب هذا الخطاب عن الأجيال التي تعاقبت من بعده، ممّن لبوا هذا الخطاب وأسرعوا في الاستجابة له... فقد كان المجتمع الإسلامي يومئذٍ يمرّ بفترة رهيبة من التاريخ فقد فيها الكثير من أخلاقيته وقيمه وكفاءاته.

ولست أدري ماذا فعل معاوية، خلال سني حكمه من إفساد وظلم، حتى بلغ المجتمع الإسلامي في عصر ابنه يزيد هذا المبلغ من ضعف الإرادة ونضوب القيم، وفقدان الأخلاق، وليس أدل على ما نقول من أن ابن رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوهم إلى الخروج على يزيد، وهم يعرفون الحسين عليه السلام ويعرفون يزيد. ثم لا يستجيب له من كل أولئك الذين خاطبهم الحسين عليه السلام أو بلغهم خطابه ألا اثنين وسبعين رجلاً فقط.

وأصدق وصف لهذا العصر هو الذي يصفهم به الحسين عليه السلام، كما يروي الطبري في التاريخ، وهو أول خطبة له عليه السلام بعد وصوله إلى كربلاء:

يقول عليه السلام: «**إن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها، ولم يبقى منها إلاّ صُبابة كصُبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به وإلى الباطل لا يُتَناهى عنه**».

وهو وصف دقيق لهذا العصر، ولإثبات هذا الوصف يقول الإمام عليه السلام: «**ألا ترون إلى الحق لا يعمل به**».

ومن أجل ذلك نعتقد أن خطاب الحسين عليه السلام لا يقتصر على عصره، وليس من سبب لحجب هذا الخطاب عن العصور التي تلي ذلك العصر.

ولسنا نريد أن ننفي مخاطبة الناس في ذلك العصر من جانب الحسين عليه السلام، ولكننا نريد أن نقول أنّ روح هذا الخطاب أوسع من هذا العصر.

إنّ الصراع الذي خاضه عليه السلام في سنة إحدى وستين هجرية حلقة متوسطة من سلسلة طويلة من الصراع بين التوحيد والشرك والهدى والضلال، يتصل طرف منه بصراع الأنبياء عليهم السلام مع أئمة الكفر،

والحسين عليه السلام وارث هذه السلسلة المتصلة من أئمة التوحيد، ويتصل الطرف الآخر منه بسلسلة طويلة من الصراع، وفي امتداد الطف يقوده أئمة التوحيد، حتى يتسلّم المهدي من آل محمد ﷺ لواء التوحيد، ويطهّر الأرض من رجس الشرك والظلم.

وعاشوراء من المفاصل الأساسية في هذه السلسلة الممتدة من الصراع بين التوحيد والشرك والهدى والضلال.

وخطاب الحسين عليه السلام خطاب شامل لكل أولئك الذين بلغهم هذا الخطاب، ومكّنهم الله تعالى. من وراثة تراث عاشوراء، ورزقهم الله الوعي والبصيرة.

التلبية:

والتلبية الواردة في نصوص الزيارات التي يزور المسلمين بها الحسين عليه السلام تشير إلى هذه الحقيقة التاريخية.

فإن الحسين عليه السلام (داعي الله) ونداؤه ودعوته توحيد الأمة.

وخطابه الدعوة إلى نصرة دين الله وشريعته وأحكامه وحدوده، ورفض الطاغوت والكفر به.

وهذه دعوة عامة، وخطاب شامل لتلك الأجيال الذين تعاقبوا بعد عاشوراء.

وإذا حجبنا عصرنا عن التلبية المباشرة لدعوة الحسين عليه السلام لاستنصاره، فنحن اليوم نلبّي ذلك الخطاب، ونستجيب لتلك الدعوة في إزالة الظلم والشرك ومجاهدة الظالمين، وتثبيت أركان التوحيد في الأرض، وهدم بنيان الشرك والظلم والاستكبار.

وقد ورد في فصول زيارة الحسين عليه السلام «**لبيك داعي الله. إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري وهواي**» والتلبية من مقولة (العزم) و(الفعل)، وليس من مقولة (القول). والقول تعبير عن عزم الإنسان على الفعل.

فالتلبية الحقيقية لخطاب الحسين عليه السلام أن يَصُفّ الإنسان مع الحسين عليه السلام في مواجهة الظالمين، وعدم الركون إليهم، ورفضهم، والبراءة منهم، والصمود والثبات في مواجهتهم.

ولست اعتقد أنّ مرور ألف وثلاثمائة عام على مصرع الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته الذين لبّوا دعوته... قد خفف من قسوة الصراع وضراوة المعركة، ولا أعتقد أنّ التلبية لذلك الخطاب أيسر في عصرنا، من التلبية لنفس الخطاب في ذلك العصر.

المعركة هي المعركة، والخطاب هو الخطاب، والتلبية هي نفس التلبية، وضريبة التلبية هي نفسها.

حركتان في التاريخ (النصر والثأر):

ولا تختلف مسؤوليتنا اليوم اتجاه استنصار الحسين عليه السلام. فإن قضية عاشوراء هي رفض الظلم والكفر بالطاغوت، وطالما يوجد في حياة المسلمين ظلم وشرك واستكبار، يبقى خطاب الحسين في يوم عاشوراء نافذاً فاعلاً في حياة المسلمين.

ونحن اليوم مسؤولون عن نصر الحسين عليه السلام، مخاطبون بالاستنصار، كما كان الناس مخاطبون بالاستنصار، مطالبون بالنصر في عصره عليه السلام.

غير إنّا نحمل بعد مصرع الحسين عليه السلام مسؤولية أخرى غير مسؤولية (النصر) وهي مسؤولية (الثأر) لدماء الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه (رضوان الله عليهم)، وهي مسؤولية أخرى غير مسؤولية النصر.

فهاتان مسؤوليتان تتطلبان حركتين في تاريخ وارثي عاشوراء:

حركة باتجاه النصر، وأخرى باتجاه الثأر، لدماء الشهداء في كربلاء.

وقضية (النصر) غير قضية (الثأر)، أن (النصر) يعني الاستنصار لدعوة الأنبياء في تشييد أركان التوحيد والعدل، وهدم بنيان الشرك والظلم، ونصر المسلمين المستضعفين وإمدادهم وإغاثتهم، في

معاناتهم وعذابهم على أيدي الظالمين.

(والثأر) يعني المطالبة بدماء الشهداء من أسرة التوحيد، وبدماء الشهداء في يوم عاشوراء. فهذه دماء حرمها الله تعالى، وأهدرها الناس، ولابد من الثأر لها، شأن كل دم حرمه الله تعالى.

غير أن دماء لما كانت في سبيل الله، فإن الله تعالى هو الثائر الأول لها، وهي ثأر الله قبل كل شيء، وهذه قيمة كبيرة لدم الشهيد في هذا الدين ومفهوم رفيع من مفاهيم هذا الدين، ونحن نخاطب الحسين عليه السلام في الزيارة بثأر الله، فنقول: السلام عليك يا ثأر الله وابن ثأره، وعلينا ونحن في امتداد (ثأر الله) أن نثأر لهذه الدماء، ودماء كل شهداء التي أريقت ظلماً وعدواناً في سبيل الله.

ولمّا كانت هذه الدماء قد أريقت في الصراع بين الحق والباطل، فالمطالب بالدم ليس هو شخص المجرم القاتل، بل يطالب به كل من وقف معه في تلك الجبهة، وكل من يقف معه بعد ذلك في تلك الجبهة...

شأن كل دم يهراق في معركة. فإن المطالب بالدم في ساحة المعركة لا يكون هو القاتل فقط، وإنما كل من يقف مع القاتل في نفس الجبهة في نفس المعركة.

ولما كانت معركة عاشوراء قائمة مستمرة ومتصلة الحلقات إلى

اليوم، فكل من يقف مع أعداء الحسين عليه السلام، ويتعاطف معهم، ويهواهم ويميل إليهم، ويرضى بفعلهم، ويحبهم... يكون مطالباً بدماء الحسين عليه السلام والثلة الطاهرة من أصحابه.

وهو شأن (عاشوراء) كما إنّ ذلك شأن كل صراع قائم بين الحق والباطل، وكل دم يهراق ظلماً في وسط المعركة. حيث تعم مسؤولية المطالبة بدم الشهيد كل الذين وقفوا معه وإلى جنبه أو خلفه في المعركة (فهم أولياء الدم جميعاً) وتعم الجريمة كل من وقف مع القاتل أو خلفه في نفس الصراع فيكون مطالباً بالدم الذي أهريق ظلماً في ذلك الصراع، إذن نحن اليوم بعد مصرع الحسين عليه السلام في عاشوراء مسؤولون عن قضيتين، وليست قضية واحدة، وهما (النصر) و(الثأر).

وقضية الحسين عليه السلام حلقة واحدة، ولكنها مفضّلة، في مسلسل الصراع التاريخي بين الأنبياء وخصومهم من أئمة الكفر.

والحسين وارث كل ذلك التراث وحفيده المهدي من آل محمد عجل الله فرجه يرث جده وينهض بتلبية خطاب جده الحسين لنصرة دين الله، كما ينهض بالثأر لدماء الشهداء في كربلاء ودماء الشهداء قبل كربلاء وبعده، ولذلك فهو الإمام (الوارث) (الثائر) من آل محمد، عجل الله تعالى فرجه الشريف.

تفسير وتحليل جملة من المضامين الواردة في خطاب الاستنصار الحسيني:

ويستوقفنا في خطابات الحسين عليه السلام خطابه المعروف في مكة عشية خروجه إلى العراق، وقد تناقل أرباب السيَر هذا الخطاب وورد في أكثر المصادر التي دونت سيرة الحسين عليه السلام وخروجه إلى العراق.

وقد ذكرنا الخطاب في بداية هذه المقالة، ويبدأ الإمام الخطاب بهذه الكلمة العجيبة: «**خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة**».

وهذه البداية تفسّر كل حركة الإمام وخروجه، وتوضح للناس الذين يستنصرهم الحسين عليه السلام ما يؤول إليه أمره وأمر من معه ليخرج من يخرج معه، وهو على بيّنة من أمره، وهو أمر يهم الإمام كثيراً، ويصرّ عليه في كل مراحل حركته بمقدار إصراره على استنصار الناس ودعوتهم للخروج معه على يزيد.

فهو يدعوهم ويعفيهم في وقت واحد، يدعوهم إذا صحّ عزمهم على لقاء الله في خروجهم هذا، وطابت أنفسهم بالقتل في سبيل الله.

ويعفيهم، إذا لم تطب نفوسهم بالقتل في سبيل الله، فإنّ الحسين يسعى إلى الموت، وليس إلى سلطان ولا مال.

ويطلب من الأنصار من يصدق عزمه وتصدق نيّته على ابتغاء القتل في سبيل الله.

ومصيبة الناس في دنياهم إقبالهم على الدنيا وتعلقهم بها وهروبهم

وخوفهم من الموت.

وهو سرّ ضعفهم، وسقوطهم، وخضوعهم للظالمين، وهوان أنفسهم عليهم، هو نقطة الضعف الكبرى في حياتهم. فإذا هانت الدنيا في أعين الناس، وزال الخوف من الموت عن نفوسهم لم يتمكن الظالم من ظلمهم، ولم يعطوا أنفسهم للظلم. وكيف يهرب الإنسان من الموت وقد خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة.

فالموت يحاصر الإنسان، ولا يستطيع ابن آدم أن يخرج من حصار الموت فلا ينفعه هروب.

ثم لماذا يخاف الإنسان من الموت والموت جمال المؤمن وكماله، ويزدان به كما يزدان جيد الفتاة بالقلادة... ولا ينقص من جمال الموت أنّه يحاصر الإنسان كما لا ينقص من جمال القلادة أنها تطوّق جيد الفتاة. فليس كل طوق ذل وأسر.

ولست أعرف تصويراً للموت أجمل من هذا التصوير الذي يقدمه الحسين عليه السلام للموت عشية خروجه إلى العراق.

ثم يقول عليه السلام: «**وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف**».

إن الموت عند الحسين عليه السلام لقاء الله، ولقاء أسلافه الصالحين إبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله. وهو يشتاق إلى هذا اللقاء اشتياق

يعقوب إلى يوسف. وهو غصن من تلك الشجرة وثمرة طيبة لها يحنّ إليها حنين الفرع إلى أصله. فليس بالموت يمكن ردع الحسين عليه السلام عن رسالته وقضيته.

وهذه رسالة الحسين عليه السلام إلى طاغية عصره وإلى أنصاره معاً.

ثم يقول عليه السلام: «**لا محيص عن يوم خطّ بالقلم. رضى الله رضانا أهل البيت**». وهي صورة أخرى لنفس المشهد ولكن بلون آخر... فقد كان المشهد السابق مشهد الشوق والوله إلى لقاء الله ولقاء أحبائه، وهذا مشهد التسليم والرضى لأمر الله.

وهو نفس المشهد، ولكن بصيغة أخرى: وسواء عرض الإمام هذه العاقبة من خلال الاشتياق والوله أو من خلال التسليم والرضى، فالرسالة واحدة والنتيجة واحدة. ثم يقول عليه السلام: «**لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته، وهي مجموعة له في حظيرة القدس**».

إنه من لحم رسول الله ﷺ ودمه، وبضعة من رسول الله ﷺ، من جسمه وروحه، ووعيه، وهداه، وبصيرته، ورسول الله ﷺ هو الخير والهدى كله، وما تفرق من رسول الله ﷺ يجتمع له في حظيرة القدس، ولا تشذ عن رسول الله ﷺ لحمة ولا بضعة له.

ومن أراد أن يجتمع برسول الله ﷺ مع الصدّيقين والصالحين في حظيرة القدس فعليه أن يلتحق بالحسين عليه السلام. ومن شذّ عنه عليه السلام شذّ عن رسول الله ﷺ.

ثم يختم (عليه السلام) كلامه خطابه بهذا الخطاب: «**ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله**».

إن السبط الشهيد يسعى إلى لقاء الله، ويطلب من الناس مهجهم ويدعو الناس إلى أن ينتزعوا حب الدنيا من قلوبهم، ويوطّنوا أنفسهم للقاء الله.

وهو خطاب عجيب. قلما نعهد نظيراً له في خطاب القادة السياسيين والعسكريين إذا دعوا الناس للقتال.

فهو (عليه السلام) لا يمنّيهم بمال ولا سلطان، إنّما يمنّيهم بلقاء الله، ويطلب منهم أن يوطّنوا أنفسهم للقاء الله، ولا يرضى منهم بغير (مهجهم).

ثم يقول لهم أنه يتقدمهم في هذه الرحلة «**فإني راحل مصبحاً غداً إن شاء الله**». ولست أدري ماذا تستبطن هذه الجملة القصيرة «**فإني راحل مصبحاً إن شاء الله**» من العزم، والإرادة، والقوة، والبصيرة، والهدى، والتسليم لمشيئة الله وإرادته.

وقد شاء الله تعالى أن يكون هذا العزم والإرادة والبصيرة والتسليم مبدأ لبركات كثيرة في تاريخ الإسلام.

* * *

وفي منزل البيضة خطب الحسين (عليه السلام) في أصحاب الحرّ فقال: «**أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من رأى سلطاناً جائراً، ناكثاً**

ومخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».

وهذا الحديث الذي يرويه السبط الشهيد عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) منهجاً في العمل السياسي والحركي للمسلمين، يختلف عن المنهج الذي تبناه بنوا أمية في عصرهم، ويلخصه أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب في كلمته المعروفة (نحن مع من غلب).

وقد عمل بنو أمية على إشاعة هذا المنهج السياسي بين المسلمين، واختلقوا في ذلك الأحاديث، وبشروا به من على المنابر لإجهاض كل معارضة سياسية وحركية في وجوههم، ولإسباغ الشرعية على حكمهم.

فمن هذه الأحاديث:

روى الحجاج قال: قال لي أبو هريرة:

ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق قال: يوشك أن يأتيك رجال من أهل الشام، فيأخذوا صدقتك. فإذا أتوك فتلقهم بها فإذا دخلوها، فكن في أقاصيها، وخل عنهم وعنها، وإياك وأن تسبهم فإنك إن سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك، وإن صبرت جاءت في ميزانك يوم القيامة[1].

وعن زيد بن وهب قال: سمعت عبد الله قال: قال لنا رسول

١ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٥٧٢.

الله ﷺ: إنك سترون بعدي إثرة واموراً تنكرونها.

قالوا: فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم[1].

وعن جنادة بن أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت، وهو مريض، فقلنا: أصلحك الله حدثنا بحديث ينفعك الله به، سمعته من النبي ﷺ فقال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وإثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلاّ أن تروا كفر بواحاً عندكم من الله فيه برهان[2].

وهذا أقصى ما يطلبه الحكام الظلمة من الناس، وفي كتب الحديث الكثير من هذه الروايات التي يأباها القرآن ويرفضها الإسلام.

ونحن من دون أن نناقش هذه الأحاديث مناقشة سندية، نقطع بأنها منحلّة موضوعة على رسول الله ﷺ، ونتهم في ذلك بني أمية أولاً. وقد خفى أمر ذلك على كبار المحدثين الذين رووا هذه الأحاديث وأكثروا من روايتها.

ودليلنا على ذلك هو القرآن.

ونعتقد أن المنهج العلمي الصحيح في نقل الرواية هو عرض

---

١ ـ صحيح البخاري ٤: ١٨١ (كتاب الفتن) ط. مصر ١٢٨٦هـ

٢ ـ صحيح البخاري ٤: ١٨١ (كتاب الفتن) ط. مصر ١٢٨٦هـ

الرواية على القرآن.

والنقد من حيث السند يأتي بعد العرض على القرآن، فما خالف القرآن نرفضه ونرده صحّ سنده أم لم يصحّ.

هذا هو منهج أهل البيت عليهم السلام في نقد الرواية.

ولذلك فنحن لا نطيل الوقوف عند مناقشة هذه الروايات ونقدها من حيث السند، فالأمر عندنا أوضح من ذلك. ودليلنا على ذلك آيات محكمات من كتاب الله تنهي عن الركون إلى الظالمين وعن طاعة المسرفين.

وإليك إضمامة من آيات كتاب الله:

يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿**وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ**﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ**

---

١ ـ هود: ١١٣.

٢ ـ الشعراء: ١٥١ ـ ١٥٢.

٣ ـ الكهف: ٢٨.

وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[1].

وينهض أبو عبد الله سيد الشهداء يومئذ لإزالة هذا اللبس عن سنة رسول الله ﷺ، فيعلن في الناس، أن رسول الله ﷺ قال: «**من رأى سلطاناً جائراً... فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله**».

وهي مسؤولية شاقة وصعبة، وانطلاقاً من هذه المسؤولية خرج الحسين عليه السلام على طاغية عصره.

فإذا ابتلى الله تعالى المسلمين بسلطان جائر... فلا يسع المسلمين جميعاً إلاّ أن ينهضوا لتغييره، بفعل أو قول، ومن يسكن إلى الظالم ويسكت عنه «**كان حقاً على الله أن يدخله مدخله**»... وهي كلمة عجيبة، تستوقف الإنسان طويلاً، وتشعر الإنسان بثقل المسؤولية الصعبة في ظروف الظلم والاستبداد السياسي. فلا يكفي أن لا يركن الإنسان إلى الظالم ولا يتعاون معه، ولا يسنده حتى لا يدخل مدخله في النار، وإنما يجب عليه أن يسعى إلى تغييره بفعل أو قول، فإن لم يفعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله.

ثم يقول عليه السلام: «**وأنا أحق من غيّر**»، ومن أولى من ابن رسول

---

[1] ـ النساء: ٦٠.

الله ﷺ أن ينهض بالتغيير ويقود حركة التغيير ويدعو إلى التغيير.

وهو عليه السلام في هذه الرحلة قائد وقدوة، قائد يقود حركة التغيير ويدعو إلى التغيير «**وأنا أحق من غيّر**».

و(قدوة)، يتقدمهم في كل محنة وعذاب، ويكون نصيبه منه الأوفى.

يقول عليه السلام: «**فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم. فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله. نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، ولكم في أسوة**».

ثم يقول: «**وإن لم تفعلوا ونقضتم بيعتي... فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، و﴿مَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسه﴾**».

إن آل أبي سفيان أعداء الناس، وقد تمكّنوا من رقاب الناس، وأفسدوا أخلاق الناس ودينهم وقيمهم وأذلوهم... والحسين عليه السلام يخرج ليقود حركة التغيير، وإن نقضوا عهدهم، فلم يضروا إلاّ أنفسهم، وأمكنوا آل أبي سفيان من رقابهم، ووطّئوا أنفسهم لظلم آل أبي سفيان واستكبارهم، وأورثوا أبناءهم ذلاً، ومن نكث فإنّما ينكث على نفسه.

الفهرس